الشعر اللبناني المعاصر
في واقعه ومحتمله

بقلم: رئيف خوري

الشعر هو أعم الفنون أمية وأقواها تحدياً لسياجات الزمان والمكان . يستجيب للشعر ، اذا كان جيداً حقاً، الفرنسي والفارسي والانكليزي والروسي والهندي والاميركي ، في كل عصر وبيئة . ومع ذلك فالشعر اشد الفنون انطباعاً بالطابع القومي وأكثرها تأثراً بملامح الوطن والبيئة والعصر . ومن هنا كان الشعر لا يُذاق ، ولا يسلم اسرار جماله ، الا لقاريء او سامع يحمل مفتاحين على الاقل : مفتاح اللغة التي صُب في قوالبها هذا الشعر ، ومفتاح التاريخ الذي به يأخذ القاريء او السامع بحظ من معرفة البيئة والعصر اللذين انبثق فيهما ذلك الشعر . فالتضلع من اللغة التى أدي بها الشعر ، والتمكن من وجوه بلاغتها الظاهرة والخفية ، كل ذلك شرط حيوي في من يتصدى لقول الشعر وفي من يتصدي لفهمه والتمتع بما اشتمل عليه من روعة . واقرب البراهين على ذلك ، اعني على اتحاد الشعر اتحاداً عضوياً باللغة التي يؤدى بها أصلاً ، ما نشهده ويشهد به التاريخ من اخفاق المترجمين للروائع الشعرية ، حتى قال الجاحظ احد اساتذة الاستاطيق العربي : « الشعر لا يستطاع ان يترجم ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حُول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب[1] » . واذا كان قد نجح بعض تراجمة الشعر مثل فيتزجرالد مترجم الخيام الى الانكليزية ، فهؤلاء قلة نادرة جداً ، وهم من بعد ليسوا مترجمين بمعنى الكلمة ، وانما هم شعراء ادوا أثراً شعرياً وفقوا الى تمثله وممازجته بأثر شعري آخر يشبهه ولكنه يختلف عنه . ومصداق هذا الحكم سهل يسير . حسبنا ان نقابل رباعيات الخيام الى رباعيات فيتزجرالد .

ومن البراهين القريبة على اتحاد الشعر باللغة التي يؤدّى بها اتحاداً عضوياً ما نلمسه من عجز المستشرقين عن تبين مكامن الجمال في الشعر العربي . فانهم ربما بلغوا الى فهم معناه فهماً جيداً ، والى الانتفاع بدلالاته التاريخية ، ولكنهم على الجملة يرتبكون ويظهرون الفشل حين يتصدون للجهة الاستاطيقية من هذا الشعر .

فالشعر – واعيد القول – متحد اتحاداً عضوياً باللغة التي يسبك بها . واللغة ، من بعد ، ليست بالشيء الذي يقحم عليه المرء نفسه اقحاماً ، ولاسيما اذا كانت بغيته منها العبارة الشعرية .

والى ذلك تراني اشك في جدوى أدب ، ولا سيما شعر ، ينشئه صاحبه بلغة غير لغته الام . اذا وفق حقاً صاحب هذا الشعر – وقليلاً ما يوفق – فوجد استجابة في نفوس اهل اللغة التي بها ينظم – فهم يقرأون شعره لانه شعر جيد وكفى ، ويصبح عندئذ لاحقاً بآداب اللغة التي بها شعر . واذا لم يوفق – وهذا ما يقع له في غالب الاحيان – لا يظفر شعره بأكثر من نفر يقرأه على أنه انموذج لا على انه شعر . وليس من باب المصادفة ان آداب الامم الحديثة لم يعرف أدبٌ منها شاعراً كبيراً فرض نفسه على ذلك الادب وكان أجنبي الجنس والنشأة . ان جبران خليل جبران وأمين الريحاني لم يدخلا في الشعر الاميركي الى جانب والت ويتمن . وأنا أرتاب في ان يأتي يوم يذكر فيه شارل القرم وايلي تيان وهكتور خلاط وفؤاد ابي زيد وميشال شيحا وجورج شحاده وسواهم الى جانب اليوار واراغون في مجاميع الشعر الفرنسي وتواريخ الادب الفرنسي .

على ان هذا لا يعني مني تنكراً لتعلم اللغات الاجنبية ، أو لارسال الشعر بها ، فالعصر عصر اخذ وعطاء بين الشعوب . واللغة أولى الحاجات الحيوية الضرورية لهذا الاخذ والعطاء . ولشد ما يضحك اولئك الذين يظنون انهم قد ذهبوا الى عمق يفوق عقولنا الساذجة حين يؤكدون ان اللبناني ينبغي له ان يكون ثنائي اللغة ، كأن تلك ليست حال كل من اخذ

نشرت «الآداب» في عددها الشعري الممتاز دراسة عن الشعر اللبناني الحديث بقلم الاستاذ موريس صقر . وهي تنشر هنا دراسة اخرى في الموضوع نفسه يعالج فيها الاستاذ رئيف خوري مشكلات وقضايا للشعر اللبناني لم يعرض لها الاستاذ صقر في دراسته .

[1] الحيوان ، جزء ١ ص ٧٥ .

بحظ من الثقافة انكليزياً كان او اميركياً او فرنسياً ، فأي مثقف في الشعوب المتطورة الا وقد درس لغة ، وفي احيان، لغتين الى لغته الام .

وانما عنيت حين قدمت ما قدمت فيما يتعلق بتجربتنا قول الشعر بلغةاجنبية اننا ما ينبغي لنا ان ننسى الحدود التي تحد من مدى هذه التجربة وتضيق عليها .

اني افهم حين يقال الشعر اللبناني شعراً بالعربيـة ، ولا اعتقد ان سيأتي يوم اذا قيل فيهالشعر اللبناني اسرع الى الذهن شعر بالفرنسية او الانكليزية او سواهما .

***

وهذا الشعر اللبناني بالعامية اللبنانية ؟

حسبي ان اقول ان هذا الشعر العامي اللبناني الذي افتن فيه اعلام مثل رشيد نخله في « محسن الهزان » وميشال طراد في « جلنار » واميل مبارك في « اغاني الضيعة » واسعد سابا في مجموعة « من قلبي » وعبدالله غانم في « اغاني العنـدليب » وعمر الزعني وغابي اسكندر حداد وميشال قهوجي واسعـد السبعلي و كثير غيرهم ممن لم اقصد اذ فاتني اثبات اسمـائهم ان انكر عليهم مـواهبهم في حيث تجلت مواهبهم ، هـذا الشعر اللبناني العامي الذي ادهشنا بما ساوقه من قدرة على الارتجال عند شعراء فطرة ، فياضي القريحة، سراع البديهة،أمثال اسعد الخوري ، شحرور الوادي ، وغيره ممن لا يعني سكوتي عنهم الا جهلي أو ضعف الذاكرة، هذا الشعر اللبناني بالعامية يتمتع بميزة خاصة ، تسلحه بأمضى سلاح في معركة البقـاء والانتشار والازدهار . فلقد رددنا اكثر من مرة ان الشعر متحد اتحاداً عضوياً باللغة التي يؤدى بها . وكلما كانت عبـارة هذه اللغـة أسرع الى ذهن الشعب زال حاجز من الحواجز التي تحول بين الشعر والاستجابة الفورية له في نفوس قرائه وسامعيه . ولان العبارة التي يرسل بها هذا الشعر هي عبارة اللغة التي يتكلمهـا الشعب ، وبالتالي يفهمها في غير مشقة ، بل يسيغها اساغة الماء ، فان هذا الشعر حري بان يكون اقوى صدى في ضمير الشعب واشد تحريكاً وهزاً لاعماقه ، واغنى عطاءً في المتعة .

ولكن لا بد من احتراز . فهذه العامية التي يؤدى بهـا هذا الشعر غير مستكملة شروط الكون لغة . بالفصحى نقول مثلاً : « لا أريد » ، صورة واحدة لا تتغـير . فمـاذا نقول بالعامية؟ منـا من يقول : « ما بُريد » . ومنـا من يقول : « ما بريدش » . ثم منا من يقول : « مـا ريد » . وآخرون يقولون : « ما ريدش » . وآخرون أيضاً يقولون : « مـا بريد شي » أو « ماريدشي » . وهكذا تتعدد صور العبـارة الواحدة بحيث نجد انفسنا امام عاميات لبنانية متنوعة لاامام عامية واحدة . ومن ثم كانت العامية اللبنانية تحتاج الى توحيد وتثبيت ، وبالتالي الى ضبطالنطق بالفاظها ووضع صرف ونحو لمفرداتها وجملها عدا الاصطلاح على رسم لاملائها .ولا ادل على هذه الفوضى التي تتخبط بها العامية اللبنانية ، مما يقصر بها عن ان تكون لغة حقاً ، من هذا الخلط في املائها حتى ليرتبـك القارىء في قراءة المكتوب بها ، وهـذه الحرية المطلقة في مـا اسميه تعذيب الكلمات ، تارة تُمط وطوراً تُقلص فعل الطفل باذني هرة يلاعبها . يقول ، مثلاً ، صـديقي الشاعر المجنح الاستاذ ميشال طراد :

عا طريق العين محلى التكتكي
والقمر عا كتف صنين متكي

ان هذه القمة الحبيبة جارتي في الجبل واسمها صنين بهـذا اللين والموسيقى في اللفظ ، ولا ارضى حتى لو اتكأ القمر على كتفها ان تصبح صِنّين .

وفي الوقت نفسه تخلو العامية من كثير من قوالب الاداء البليغ الذي تطوع له الفصحى . يقول مثلاً الشاعر الفصيح ابو العتاهية :

لنقل الصخر عن قنن الجبال احب الي من منن الرجال

وكل حيلة العامية في هذا البيت ان تقول : نقل الصخر من قنن الجبال أحب الي من منن الرجال . وشتان في القوة بـين البيت الفصيح وهذا القول بعد اسقاط لام الابتداء .

ومجال القول واسع في وجوه تقصير العامية عن الفصحى . وإنه لطبيعي هذا التقصير ما دامت العامية لم تتمرس بمـا أتيح للفصحى ان تتمرس به في تاريخ طويل . العامية لغة الحياة كما يقال . ولكن أي حياة؟ يكفي ان اقول إنها الحياة العادية في السوق والبيت ، حياة محدودة الافق !

واذا كان الذين ينصرفون شطر العامية اللبنانية يريدون بذلك ان يحلوها محل الفصحى ويقيموا الشعر العامي مقام الشعر الفصيح ، فانهم لواهمون . فالعربية الفصحى لا في لبنان فقط ، ولا في هذا الجيل فقط ، قد واجهت العامية وواجه شعرهـا الفصيح الشعر العامي . ففي مصر عامية ولهـا شعر خاص ، وكذلك في العراق وفي مضارب البدو . ولكن لا العامية في مصر او في العراق او في مضارب البدو ، ولا الشعر الذي

« الادب والحيــــــــاة »

عدد ممتاز بـ ١٠٠ صفحة

تصدره « الآداب » في مطلع نوار (مايو)

[العدد الخامس من اعداد هذا العام]

يتناول مختلف الدراسات والقصص والقصـــائد
التي تتصل بصميم حياتنـا الفكرية والقومية والاجتماعية

يشارك فيه نخبة من ادباء العالم العربي

ينشأ بها قد زحزح الفصحى وشعرها ، بل قام بينهما تعايش استمدت فيه الفصحى من العامية ، واستمدت فيه العامية من الفصحى بدليل ما نلمسه في الشعر اللبناني العامي من رقي وزناً وتعبيراً ، وحساً وفكراً وتصويراً . استمعوا لرشيد نخله في « محسن الهزان » ينقل هذه اللمحة من الطبيعة :

والسهل عشبو كان يموع موع الحرير ... والليل من ضو القمر قطعة رخام
والليل من ضو القمر لونو انمحى ... حتى الدهب خالط الفضة من الضحى
وراح النسيم عالسهل يمشي سوسحا ... واللولحا لردان محسن والكمام !

واستمعوا لميشال طراد ينشد :

قديش قلبي تــاه بصحاري الهوى
مجروح قضى العمر غصات وبكي

فهذا الليل الذي جلاه ضوء القمر فاذا هو قطعة رخام ناصعة ، وهذا القلب الذي تاه بصحاري الهوى ، كسبان من الفصحى للعامية .

على ان الشعر اللبناني بالعامية مضطر — لكي يتسنى له الاطراد في الرقي — ان يدفع بزورقه الى خارج هذا الخليج الصغير الذي مال الى حبسه فيه ، أردت بهذا الخليج الصغير تلك الموضوعات التي اصبحت تقليدية في الشعر اللبناني العامي ، الا وهي الغزل : بث عواطف الحب الفردي ، ووصف الطبيعة اللبنانية ، وتصور حنين المغترب وتشويقه للاياب . حوّم حول اغراض واحدة بالفاظ وصور ومعانٍ تتشابه وتتكرر من شاعر الى شاعر بل من قصيدة الى قصيدة عند الشاعر نفسه حتى ليحس القاريء او السامع ان هذا الشاعر قد انفق نفسه بطائفة من الالفاظ والصور والمعاني اداها في بضع من قصائده ثم راح يدور عليها ويدور. ولشد ما يضايقني هذا التمثيل للحياة في حضن الطبيعة اللبنانية سعادة كلها ورغداً كلها ، فالفقر هنا هناء وغناء ولا نميمة هنا ولا حقد ولا شقاء، ولا يكاد يظهر في اطار هذه اللوحة من الطبيعة اللبنانية سوى الفجر والزهر والسواقي الربيعية واسراب المعزى والراعي والفلاح قانعين تغمرهما في عيشتهما المنعزلة عن ضجّة المدينة نعمة وغبطة لا تعدلهما نعمة ولا غبطة. اقول شدّ ما يضايق هذا النحو من التصوير للحياة في حضن الطبيعة اللبنانية. وعبثاً نفتش في هذه الصورة عن اثر لما هو واقع الامر ، عن القرية اللبنانية تغوص في ديامس الليل ، لا كهرباء . يشرد اطفالها في ازقتها. تقيء وحلًا او تثور غباراً خانقاً ، ولا مدرسة ولا طريق . ويعطش اهلها ولا ماء يبل الريق . عبثاً نفتش عن الفلاح الذي يتفاعل والارض ويبدع الارض ابداع خــالق ولا يجد الا عقوق الحكام ، ويرى القرش واللقمة بين يديه حلماً من الاحلام ، فيفش صدره بالتجديف .

بعد هذا ، اعود الى الشعر اللبناني بالعربية الفصحى وسواء منه ما تفجرت به ينابيع القرائح من شعراء لبنانيين في الارض اللبنانية نفسها او في ارض عربية اخرى او المغترب . هنا البعلبكي الشاعر الضخم خليل مطران ودواوينه مع ما حوت من روائع : « الاسد الباكي » و« الجنين الشهيد » و« تذكار الطفولة » و« نيرون » وباقي قصائده في الطغاة ؛ وهنا بشارة الخوري ، الأخطل الصغير و« هواه والشباب » ونفائسه التي لم يتم نشرها في مجموعات . وهنا الياس ابوشبكة و « افاعي

فردوسه » و « ألحانه » و « نداء قلبه » و « وغلواؤه » و « الى الابد » ، عدا « الباكورة » و « القيثارة » . وهنـــا صلاح لبكي و « ارجوحة قمره » و « مواعيده » و « سأمه » ، وهنا سعيد عقل وجهوده الطامحه او طماحه الجاهدة : « المجدلية » ، و « قدموس » و « رندلى » وباقي قصائده . وهنا امين نخله شاعر « دفتر الغزل » الذي يصقل الجوهر والحرز احياناً . وهنا يوسف غصوب الشاعر الناعم الانفاس في « قفصه المهجور » و « قارورة طيبه » حتى « عليقته الملتهبة » . وهنا بولس سلامه و « عيد غديره » و « الامير بشير » . وهنا سليم حيدر شاعر « الآفاق » ولا اقول شاعر الوزراء ولا وزير الشعراء ، فاظلم الوزراء والشعراء جميعاً واظلمه اولاً . وهنا صلاح لبابيدي الذي لا نشك في ان شعره الرقيق لم يكن هو الميزة التي اهلته لمديرية الشرطة . وهنا رشدي معــلوف و « اول ربيعه » المزهر الذي وقفت عنده — فيما يظهر — فصول الموسم الشعري عند شاعرنا . وهنا وديع عقل وديوانه وشبلي ملاط وديوانه ، وامين تقي الدين الذي ما زال شعره وشعر نسيبه احمد تقي الدين ينتظران من يؤاويهما في ديوان . وهنا الدكتور حبيب ثابت و « افروديته » . وهنا ادفيك جريديني شيبـــوب في قصائدها المنشورة ، والياس خليل زخريا الذي يطالبه جميع محبيه بديوان . وهنا عاطف كرم ونفحاته « من هوانا » . وصلاح الاسير و « واحته » ويوسف الخال و « حريته » ومحمد يوسف حمود وانتقالاته في « زورق حياته » وميخائيل صوايا و « هتافه » وسابا زريق ونجيب اليان ومتفرقاتهما التي نسمعها في المناسبات. وهنا رئيف خوري في « ثورة بيدباه » وفي قصائده التي مجّد بها النصر على الفاشستية والنازية وغنى بها السوفيات كما تصورهم واحبهم في حقبة . وهنا نقولا فياض في « رفيف اقحوانه » . وهنا قبلان مكرزل في « خلوده » و « أنا طير شرود » . وميشال بشير و « غروبه » (في صباح العمر !) وغنطوس الرامي و « سمره » وهنا ميخائيل نعيمه في « همس جفونه » التصوفي ، وهنا حليم دموس الذي اخشى ان يكون قد مات واصبح مؤجلاً دفنه حفظه الله ...

وثمة عبر البحار ايليا ابو ماضي و « خمائله » الفواحـــة و « جــداوله » الرقراقة حيث « المساء » و « الطلاسم » و « الطين » . ورشيد ايوب و « اغاني درويشه » وندره حداد ، ونسيب عريضة والشاعر القروي، رشيد سليم الخوري و « اعاصيره » ، والياس فرحات و « رباعياته » وديوانه . وثمة وهنا امين الريحاني وتجربته في الشعر المنثور ، والاشقة المعالفة : فوزي وتحفته : « بساط الريح » وشفيق و « عبقره » و « نداء مجاذيفه » و « لكل زهرة عبير » ، ورياض و « اوتاره المتقطعة » وغيرها . وثمة شكرالله الجر ، والياس قنصـــل ، وجورج صيدح ، ولا اعلم بعد هذا كله هل أنسيت احداً ممن اعيد عليهم القول ان نسياني اياهم لا يدل على مخبأ سوى جهلي وقصور الحافظة .

بلى نسيت ان انوه ببعض المقبلين على الشعر الواعدين بموسم مبارك امثال جورج جرداق ورفيق المعلوف واحمد ابو سعد وقصائده « الدافئة » وجوزف نجيم وفؤاد الخشن وغيرهم .

ولأقل فوراً ان الشعر اللبناني بالفصحى العربية لا يبدي في محتمله ان سيتاح له ان يستقبل جيلاً طالعاً في المغترب يغني غناءَ الجيل الذاهب . فابناء مغتربينا يتأمركون او يتبرزلون لغة وثقافة ، وهذا مؤسف ان كان يجدي ان يأسف المرء تلقـــاء حكم صيرورة طبيعية . فاذا كنا نحرص ان تحياهذه « الاندلس الشعرية » التي اقامها اللبنانيون عبر البحار ، فما علينا الا ان ندفع الى الغربة بالشعراء فوجاً بعد فوج ، واخشى ان يكون علينا ان نزودهم بالقراء ايضاً .

ان الشعر اللبناني ، بالعربية الفصحى ، حميم الصلة ، بهـــذا الشعر العربي الذي عرّفه الينا التاريخ ينشأ في نجد في القرن السادس الميلادي ثم ينتشر بانتشار العرب واللغة العربية في آسيا وافريقيا وجنوب اوروبا ويتمرس بما تمرس به من عصور النهضة

صدر حديثاً

منشود

رواية لنسيب عازار

هي صورة لهذا العصر . جمعت بين الواقع والمثل الاعلى . يقول فيها الاديب الكبير ميخائيل نعيمه: « برهنت عن ذوق روائي رفيع في تصوير اشخاصك ... فالاشخاص من لحم ودم ، لا من خشب او قصب . والاحداث من صميم الحياة التي نحياها في كل يوم . لا من نسيج خيال أعور او أعشى... الا بورك الألم يا اخي ، الذي منه هذه الحرارة ، وهذه الحلاوة ، وهذا الفن ، وهذا الايمان . »

منشورات دار المكشوف

فالانحطاط فالنهضة حتى رأينا تياراته تمور وتموج على ما هي عليه الآن في أصقاع الشمال الافريقي ومصر والسودان ولبنان وسوريا والعراق والجزيرة العربية وشرقي الاردن وفلسطين قبل ان يخونها الضمير العالمي وبعض الضمير العربي واخجلتاه!

وسواء اكان الشعر اللبناني المعاصر، المنظوم بالعربية الفصحى، مضروباً على غرار الشعر العربي الجاهلي، ام منسوجاً على منوال الشعر المولد العباسي والاندلسي، ام ملقحاً بلقاح الآداب الغربية التي اتصل بها شعراؤه، فانه على كل حال شعر عربي وامتداد الشعر العربي بين تقليد وتجديد.

ومن هنا كنا لا نتبين ملامح هذا الشعر اللبناني المعاصر في واقعه حق التبين؛ ولا نستطيع ان ندرك ما ينطوي عليه محتمله من امكانات، الا اذا التفتنا الى تاريخه البعيد والقريب فوعينا ما خص به من خصائص وما تمرس به من تجارب.

***

عُرف الشعر العربي، بقلة الاشكال التي تجسد فيها من قصيدة تتكدس ابياتاً ضعف الرابطين معـــانيها واختلفت احياناً مواضيعها ولم تجمعها سوى وحدة الوزن والقافية، الى موشح الى مخمس الى ارجوزة. والشعر العربي مع ما يتسق له من الايقاع الموسيقي المطرب والمشجي قد ضيق قالبه تضييقاً وصلّبه بالتزامه الوزن الواحد والقافية الواحدة فقصّر على نفسه مدى الشوط وتعرض للرتابة والوتيرة الواحـــدة في النغمة وتعرض احياناً للاكتفاء بالرنة الجوفاء التي تعجب الاذن ولا يصل صداها للنفس. والشعر العربي قد عرف كذلك بفقره في الانواع بل بالتزامه حدود نوع واحـد هو الغنائي، وكل هذه الاغراض والفنون التي يذهب فيها الشعر العربي من غزل الى فخر وحماسة ورثاء ومدح وعتاب واعتذار وهجاء وخمريات وزهريات وحكم وزهديات ووصف هو القاسم المشترك بـين هذه الاغراض جميعها، إنما تتفرع وتعرج لتعود فتنصب في البوتقة الغنائية. قد تجد بعض هذه الاغراض التي سلكهـــا الشعر العربي تحمل عند بعض الشعراء خصـائص من القصص ونفحات من النفس الملحمي وملامح من الشعر التمثيلي تتجلى في شيء من الحوار، ولكن ذلك كله يجيء في اطار من الشعر الغنائي. ابو نواس الذي ثار ثورته المشهورة على الشعر الجاهلي المحبس المدى الابعـــد الذي بلغت اليه ثورته في السخرية من الوقوف بالاطلال وفي التفنن في بعض صور التعبير وفي اخراج بعض المواضيع القديمة (الخمر) مخرجاً جديداً ادخل فيه القص السريع ولوّنه بالحوار الخاطف والوصف المقتضب على حيويته وبقي ابو نواس بعد هذا كله في حدود النوع الغنائي بل اغرق فيه اغراقاً. ومثله المتنبي الذي هيأه عصره وعبقريته لابداع ملحمة عربية رائعة (وقد وثب حقاً بالشعر العربي الى اقرب نقطة من الملاحم في سيفياته) لبث هو ايضاً في حظيرة النوع الغنائي. ومثله المعري في شعره التأملي قد اقام على الغنائية، لا يتخطاها.

الخلاصة ان الشعر العربي الذي ورثناه قد خلا من القصص حقاً، ومن الملاحم والمسرحيات، واكتفى اكتفاء بالنوع الغنائي.

والشعر الغنائي كما نعلم ينماز بأنه الشعر الذي يدور فيه الشاعر مباشرة وصراحة على محور من نفسه يستغرق في ذاته: افراحها وكآباتها، آلامها واحلامها، وخواطرها في الوجود والمصير الانساني. الشعر الغنائي اسلوباً ومحتوى هو «أنا» الشاعر، هو هتافه الذي تلح به عليه التجارب الفردية.

وبين سمات الشعر العربي ولعه باللقيات العبارية تتمثل في كناية او عبارة وما أشبه. فالكواكب عنـــد بشار ليست كواكب بل هي قناديل السماوات. والشباب عند ابي نواس

— التتمة على الصفحة ٧٨ —

أسهل طريق للنجاح في الامتحانات
يمهدها للطلاب

رائد البكالوريا

وضعته لجنة من اساتذة البكالوريا وفقاً لمنهج التعليم اللبناني الذي يطبق في امتحانات البكالوريا عام ١٩٥٥

كل جزء من أجزائه يحتوي:

- موضوعات مدروسة
- موضوعات مخططة
- مقدمات عامة واسئلة
- قسم خاص بالنقد والترجمة

ظهر ثلاثة اجزاء من حلقة الادب العربي

ثمن النسخة ليرة لبنانية واحدة **دار العلم للملايين**

الشعر اللبناني المعاصر

— تتمة المنشور على الصفحة ٧ —

ليس شباباً بل هو مطية الجهل. والسيوف عند ابي تمام ليست سيوفاً بل هي ضمائر الأغماد. والصدور عند المتنبي ليست صدوراً بل هي مجامع الاضغان. والشيب عند الشريف الرضي ليس شيباً بل هو وقائع الدهر؛ والخمر عنده لا تسكر شاربها ولا تذهب بعقله بل تمكر به.

والشعر اللبناني المعاصر (يصدق ما اقول على فصيحه وعاميّه) هو في صميم التراث الشعري العربي من حيث ينغمس في الغنائية انغماساً وان يكن قد شق كثيراً من النغمات الجديدة في بعض الفنون الغنائية ولا سيما الغزل وتصوير الطبيعة؛ نغمات تختلف به عن الشعر العربي التقليدي... والشعر اللبناني المعاصر باقٍ الى ذلك في صميم التراث الشعري العربي من حيث يغلب عليه شكل القصيدة وان يكن قد ظهرت فيه مظاهر التحرر من ربقة هذا القالب. والشعر اللبناني المعاصر لا يفتأ في صميم التراث الشعري العربي من حيث يكدح في التماس اللقيات العبارية.

لننظر في القدر الأعظم من شعر الشعراء الذين احصيتهم وعددت آثارهم، فسنرى ان النوع الغنائي يطغى عليهم وان القصيدة هي الشكل المتسلطن على انتاجهم، وانهم لا يفرحون بشيء فرحهم بلقية عبارية يستطيعون بها تعجيب القاريء والسامع وأحياناً تعجيزه ساعة يسرف بعضهم بهذه الرمزية التي شغفوا بها زياً من الازياء. فصاحبنا سعيد عقل لا يطيب له أن يقول وجود عدوان على كل مقدس في القيم وتحقير لأجمل ما في الخلق، فيقول:

جرح على النور الهوان!

مكنّياً عن القيم المقدسة وعن اجمل ما في الخلق بالنور وعن العدوان والتحقير بالجرح. هذا بالطبع اذا صح فهمي لهذه الاحجية التي 'لفّت' في عتمة من الابهام ولعلّ ذلك لان النور مجروح!

وما اراني محتاجاً الى ان اثبت كيف يستبدّ شكل القصيدة الواحدة بالنظم في الشعر اللبناني المعاصر، فهذه نيرونية مطران تشهد. لقد اركبه فيها الوفاء للقافية الواحدة مركباً وعراً شوّه من روعة القصيدة بكثير من العويص حتى سمعنا «طثراً» و «ازبأرّ»، ولا ازيد.

وحسبي للدلالة على استئثار الغنائية بالشعر اللبناني المعاصر مطولة بولس سلامه التي سماها ملحمة «عيد الغدير». لنستمع له يقص علينا بشعره المحكم المتين قصة مسلم بن عقيل عم الحسين ابن علي وقد اصيب من جند الامويين بضربة سيف صادفت فمه، ثم اتي به الى ساحة قصر الوالي الاموي عبيدالله بن زياد، يتلظى عطشاً. فطلب قدحاً من ماء فجاءه به غلام، فجعل يحاول ان يشرب فيمتليء القدح دماً.

وأتاه فتى بشربة مـــاء ... ودعاه فأمسك الفنجانا
كلما رام ان يبل شفاها ... ابصر الجام من دم ملآنا
حاول الشرب مرتين فصدت ... سكبة الدم مسلماً صديانا
ثم رام المص الأليم ثلاثاً ... فاذا الفك يلفظ الاسنانا
ملأ الكأس دمه والثنايا ... فرمى الكوب يائساً حرانا
قال: رباه لن يصيب البرايا ... غير ما شئت، فاسقني ايمانا!

ثم ادخل مسلم قصر عبيد الله:

جيء بالليث دامياً وعبيد الله يختال يسحب الطيلسانا!

والسحب الشعري، الى هنـــا، قصصي أو ملحمي، ولكن ما ان يبلغ هذا الحد حتى يعدل بنا الشاعر عن النهج القصصي الملحمي ليسمعنا صوته الخاص ويهجو عبيد الله بن زياد ويستطرد في تأملاته الغنائية حول اثر الأصل في الانسان، يشير الى ان زياد بن أبيه، والد عبيدالله، كان مشكوكاً في اصله:

والذي يؤلم النفوس ويدمي ... ان تلف الطيالس العبدانا
يثقل المترف الهجين على الأبصـــار فالعين لا تطيق الزباني
دونه وطأة الشوامخ ثقلاً ... ان تباهى وجرر الأردانا
انما النوع بالأرومة يزكو ... وشذاهـــا يطيب الاغصانا
انمـــا ينكر الوارثة غر ... من يقل (صار) لايغص (بكانا)
وعجيب ان يهمل الناس نسلاً ... وتراهم يؤصلون الحصانا!

وما أريد بوجه ان يفهم من قولي أنني أحمل على الشعر الغنائي ولا اتذوقه، فانا ممن يذهبون الى الرأي أن لا شعر بلا غنائية. فالشاعر سواء أأنشدنا شعراً غنائياً ظاهراً، أم اخرج لنا ملحمة او مسرحية، لا يبرأ من الغنائية في كل حال، وانما يكون غنائياً يسمعنا صوته الخاص ويبثنا ميوله وانفعالات نفسه صراحة ومباشرة في الشعر الغنائي، ولكنه في الشعر الملحمي والقصصي يخفي ميوله في تسيير حوادث القصة، ويواري صوته في حوار اشخاصها وابطالها. على ان صوته وميوله تصلنا في هذه الحال عبر قطعة من الحياة، تنقل الينا؛ وبالتالي يصلنا صوت الشاعر وميوله وقد غني في الملحمة المسرحية بالتفاعل وتجارب غيره.

وهنا السر كله. هنا السر في ان الشاعر الملحمي او المسرحي يكون ابعد من الشاعر الغنائي عن ان يصيبه الفقر والنضوب. فهو يجد اما في حاضر الحياة حوله واما في التاريخ القومي والانساني مستمداً يغرف منه، بينا لا يجد الشاعر الا نفسه وحدها يغرف منها، ونفسه وحدها لا تفي بحاجته الا اذا كانت نفساً خارقة في

تفتحها وقدرتها على استيعاب حركات الحياة وترجمتها الى لغة من عواطفها وتأملاتها الخاصة . ولكن هذا قليلا ما يكون . اوهو في الشعراء اللبنانيين المعاصرين اقرب الى ان يكون معدوماً منه الى ان يكون موجوداً. « ما دامت ذات الشاعر تملأ عليه ذاته فانه يكون فارغاً من كل شيء» : يقول رينه حبشي في محاضرة له « من رامبو الى كلوديل » . وما أصحه من قول .

واسترسال الشاعر اللبناني المعاصر في الغنائية متكلا على نفسه يغترف منها في تجاربها المحدودة هو الذي يفسر لنا السرعة التي يزهر بها هؤلاء الشعراء ويذوون ، فيصمتون أو ينصرفون الى اجترار ذواتهم في شعر مكرر يعملون فيه على تجويد القالب او تغييره. ونرى مصداق ذلك في ميشال طراد ، فان غنائياته الاولى روائع في عفويتها وحرارتها وجمالها . بينما غنائياته اليوم تشكو تعب الصنعة . ومصداق ذلك ايضاً نجده في سعيد عقل الذي يلهي نفسه اليوم بان يسبك بالعامية ما سبكه بالفصحى . وفي صلاح لبكي الذي افضى من باب «سأمه» الى مدح الملوك اسوة (ربما) ببشاره الخوري الذي قص جناحاه من قبل فحزن عليهما الفضاء والشمس.

يبقى انني معجب حقاً بما استطاع نفر خلاق من الشعراء اللبنانيين في مدى ربع القرن الذي فات ان يحققوا في ميدان التفلت من قبضة الغنائية التقليدية اما بادخال الجديد على هذه الغنائية او بالتوجه شطر المحاولات المسرحية والملحمية . وفي هذا النفر اذكر اولئك الشعراء الذين تناولتهم بقسوة ؛ أي : جاهرتهم بالحقيقة ، بشاره الخوري وايليا ابو ماضي وسعيد عقل في مسرحيته قدموس خاصة ؛ وبولس سلامه في «عيد الغدير» وصلاح لبكي في « سأمه » ، واضيف اليهم الياس ابو شبكة ويوسف غصوب وخليل مطران الذي اوتي من موهبة الوصف والقص والحوار ومن احكام وحدة العمل الشعري وتركيزه على الموضوع واوتي من الثقافة عامة ما كان يخوله ان يوجد الملحمة بالشعر العربي ، ويغني خزانته الفقيرة الى المسرحية .

إلا ان شيئاً من هذا ما ينبغي له ان يذهلنا عن ان الشعر اللبناني في واقعه اليوم يكابد أزمة . وفي جيل الشعراء الجدد في مصر والعراق من لا يبشر جيل شعرائنا الجدد بأمثالهم .

اقول قولي هذا واستغفر الاشعاع اللبناني الذي نربأ به عن ان يتحول الى محض لفظ نتبجح به !

لنسأل انفسنا : اين هي الملحمة اللبنانية ؟ ومن الذي يعد اليوم مسرحيته شعراً ؟ ومن الذي يعالج اليوم سكب الشعر في قوالب جديدة ؟ وأي شعر يصدر عنا الا هذه المجموعات من قصائد بل مقطعات خفيفة يسيرة لا تتصل بتجربة ذات بال ولا تطرح مشكلة ولا تحلها .

وكثيرة هي الاسباب التي يمكن ان يعلل بها هذه الازمة . على انني كيفما قلبت الرأي وجدتني ازداد يقيناً بان شعراءنا كسلون . الشعر الغنائي لا يحتاج الا الى عناء نظم ابيات معدودات في امرأة تشوقنا او لوحة طبيعية تروقنا ، او مناسبة ما ؛ فاما المسرحية والملحمة فتحتاج الى نظم الابيات التي ربما بلغت الالوف عداً ؛ وتحتاج الى تأليفها مقيدة بالموضوع والى دقة وتوسع في الوصف والقص والحوار ؛ وكل ذلك يوجب صبراً على المشقة ويوجب معرفة وثقافة . ولذلك يقبل شعراؤنا على النوع الغنائي لانهم يستسهلونه .

وكيفما قلبت الفكر وجدتني ازداد يقيناً بان النقد عندنا لا يؤدي واجبه . فالنقد هو الذي يتحتم ان يدل الشعراء على ما نفتقر اليه من شعر وان يقترح عليهم ويوجههم الى سد هذا الفقر . فاين النقد الذي يبين ما الملحمة وما المسرحية ، وكيف يكون الشعر الذي يستحبه الاطفال (وهو فن يعوزنا جداً) أين النقد الذي ينبه الشعراء على ان هذا الموضوع التاريخي ، او الموضوع القائم في حياتنا اليوم يصح ان تعقد عليه مسرحية او ملحمة ؟

وكيفما قلبت الفكر وجدتني ازداد يقيناً بان المسؤولين عندنا يعوزهم بذل التشجيع الذي يثمر ان كانوا يقصدون الى التشجيع الذي يثمر للادب . فماذا يضر لو انشئت في الجامعة اللبنانية كلية آداب وجعل منها فرع لتعليم الشعر ودراسة فنونه !

اننا وسواء اكنا في لبنان ام في الاقطار العربية أم في صقع من أصقاع الدنيا ، نسير – وأخشى ان نكون ننجر – في ركاب عصر يفور ويثير من قضايا الجد في مصير وطننا الصغير ومصير البلاد العربية كلها ومصير كل وطن في الدنيا ما لم يثره عصر من قبل . معنى الاستقلال الوطني ، قيمة الشخص الانساني ؛ صلة المواطن بالمواطن والانسان بالانسان والانسان بالخالق ؛ وجود الفقر ووجود الغنى ؛ العدالة الاجتماعية ام اليد المطلقة للاستثمار ؛ بقاء المدنية ونموها ام نسفها بالذرة ؛ الغاية تبرر الوسيلة ام لا تبررها ؛ الحقيقة نسبية ام مطلقة ام لا حقيقة البتة ؛ كل تلك قضايا جدية يثيرها عصرنا باصرار وينبغي للشعر ان يتحدى هذه القضايا الجدية بالخلق الشعري الجدي الذي يكون قوة فاعلة لا الهوة ولا زينة ولا عبارة عن محض قلق وارتباك ودوار يصيب بعض الرؤوس في العاصفة ...

رئيف خوري